

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على نبيه الكريم

"الحفظ عند الشناقطة"

(وسائله - معيقاته - علاج نسيانه)

فقرة مقتطعة من بحث بعنوان: "المحظرة بين الأصالة وآفاق التطور"

إعداد شيخ محظرة التقوى النموذجية:

محمد محمود / إسحاق البومالكي الشنقيطي

من الأهمية بمكان أن ندرك أن المنظومة المحظرية تعتمد على بعدين أساسيين هما: الحفظ المتقن والفهم الجيد للنصوص، فما هو الحفظ عند الشناقطة؟ وماهي وسائل فهم المتون المحظرية؟ وذلك ما سنجيب عليه في المطالب الآتية:

- **المطلب الأول: الحفظ عند الشناقطة:**

أولاً: وسائل الحفظ (القرآن - المتون) :

1 -الإخلاص لله عز وجل والتقوى، ويدخل في ذلك ترك المعاصي كما قال الإمام الشافعي:

شكوت إلى "وكيع" سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يؤتاه عاصي

- أخي لن تنال العلم إلا بستة سائبك عن مجموعها بيان

نكاه وحرص واصطبار وبلغه وإرشاد أستاذ وطول زمان

2 -الهمة العالية:

- تلاميذ شتى ألف الدهر بينهم لهم هم قصوى أجل من الدهر

بيبتون لا كن لديهم سوى الهوى ولا من سرير غير أرمدة غير

- ولتحذر الإهمال والتراخي فذك في العلوم جدا "راخ".

- يقول العلامة ابن متالي:

وضيق قلبه من الحرمان وسيلة لرحمة الديان

3 - التدرج والمرحلية:

أ - البداية بصغار العلم قبل كباره وبذلك فسر قوله تعالى: (وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلَّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ).

وقد قال العلامة ولد أحمد زيدان منتقدا تقديم ما حقه التأخير من المتون المحظورية:

علامة الجهل بهذا الجيل ترك الرسالة على خليل
وترك الاخضري على ابن عاشر وترك زين للرسالة احذر
وترك الاجروم للألفية وترك الالفية للكافية
إن خليلا صار مثل الشم يشمه كل سقيم الفهم
وعلى ذكر "خليل" يقول الأديب المختار بن حامدن رحمه اهم:

قرأت دروسا من خليل حفظتها وذلك على فهم الكتاب دليل
ولكن نسياني لما قد حفظته دليل على أن لا يدوم خليل

ب - أن لا يجمع بين متنين فأكثر - وخصوصا مع القرآن الكريم - بل يفرد كل فترة بفن واحد
ويعطيه وقته كاملا حتى يتقنه لأن "من طلب كل شيء فاته كل شيء" و "من طلب العلم
جملة فاته جملة"، وأهل العلم يقولون "العلم لا يؤخذ بالجزاف"، والجزاف عرفه العلامة
محمد سالم ولد الما بقوله:

معناه: بيع الشيء عند من نقد بدون وزنه وكيل وعدد

هذا وقد أشار العلامة ابن متالي إلى هذه المعاني كلها فقال:

وإن ترد إتقان فن تممه وعن سواه قبل الانتهاء مه

وفي ترادف المتون المنع جاإن توأمان استبقا لن يخرجنا

4- التجزئة:

أ - كتابة الدرس اليومي الذي يستطيع حفظه (تقليل الدرس) واستيعاب ه باليد وإن كان من إملاء الشيخ فهو أحسن.

ب تسميع المقرر اليومي على الشيخ حتى يتأكد من نطقه سليماً (تصحيح المقررات بدقة).
يقول ابن متالي مبيناً "مراتب التعامل مع الدرس المحظري":

كتب إجازة فحفظ الرسم قراءة تدريس أخذ العلم

ومن يقدم رتبة على المحل من المراتب المرام لم ينل

ج- تربع الدروس (الأولى - الثانية - الثالثة - الرابعة / الغسلة) في "اللوح الخشبي".

5 - "البسمة" عند البداية وبعدها "الباقيات الصالحات" "والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم استمطاراً للرحمة".

6 - أن تقول بعد كل صلاة مكتوبة "أمنت بالله الواحد الأحد وحده لا شريك له وكفرت بما سواه".

7 - عدم مجاوزة المقرر اليومي للحفظ حتى يتم إتقانه.

8 - لا تستعجل الحفظ قبل أوانه:

من الملاحظ أن جل طلاب العلم يحاول أن يحفظ من أول جلسة وإذا حصل حفظ فذلك الحفظ ظل زائلاً، إذ هو حفظ يعتمد على الاستحضار والضغط الذهني ولذلك الطلاب في المحاضرة يقولون: "حفظ التخمام كظل الغمام".

وعليه يلزم الطالب الذي يريد الحفظ المتقن أن يكرر درسه (الكتابة) في أوقات متعددة متكررة متجددة زيادة على "وقت دوام المحاضرة"، وأن يقرأها بعد كل صلاة 12 مرة، ثم يضع اللوح أو يطبق المصحف (التعليم المعاصر)، وأن يقرأها قبل النوم 7 مرات لأن الذاكرة تشتغل بها طيلة النوم، وأن يقرأها بعد الاستيقاظ مباشرة وخصوصاً قبيل طلوع الفجر وبعده فهو وقت عجيب مجرب في الحفظ وهكذا. وبعد انتهاء "صلوات اليوم الخمس" يحاول حفظ الدرس (الكتابة) وسيحفظ بإذن الله بجدارة وإتقان.

9 كثرة التكرار (توظيف أكثر الأوقات في المحفوظات السابقة التي هي: "الصرات" أو "المتون المحظرة").

والمراد بكثرة التكرار القراءة في الأوقات كلها ما عدا وقت الاستجمام القليل فيكرر ويراجع في "أوقات الدوام للمحظرة" بعد كل صلاة 12 مرة على الأقل وهكذا. هذا ويعزى للعلامة ابن متالي رحمه الله قوله:

إن ترد الإتقان فلتراجع جميع ما دونت في المراجع

وقلن الدرس واحفظنا ألفاظها وكل ذا اضبطنا

وعلماء الشناقطة يقولون: "الدرس حرف، والتكرار ألف" (قلة الدرس وكثرة التكرار)، وسئل بعض علماء الشناقطة بم نلت هذا العلم؟ فقال: "بألف أعباد ومائة تكريرة". وهناك مجموعة أنظمة تحض على التكرار: - يقول الشيخ سيد عبد الله في "طلعة الأنوار":

احفظ وقلل ذاكرًا تذكر وتستفد ما لم يكن قبل در

- العلم لا ينال بالتمني ينال بالتكرار والتأني

كم أعجمي أكن أغن أنال بالتكرار كل فن

- خليلي لا تكسل ولا تهمل الدرسا ولا تعط يوما في بطالتها النفسا

ولا تترك التكرار فيما حفظته فمن ترك التكرار لا بد أن ينسى

- يقول شيخنا عدود رحمه الله:

اللؤئي عن جوابين رجع إذ ذكر الصواب هكذا الورع

إذ كان شيخا عهده بالدرس بعد والبعد الدروس ينسي

ولو تركت الدرس عامين ذهب أقرب من ذا عنك فا ترك اللعب

وما مع الحافظ يبقى في الكبر إلا مواضع المسائل الكبر

لا تغفلوا عن درسها شبان فأفة العلم هي النسيان

- 10- ضرورة التمهيص (التشكيل) حرفا حرفا حتى لا يجهد الذهن لمراعاة المعنى مخافة اللحن وحفظ الأخطاء.
- 11- ضرورة تتابع الأسطر أو الأبيات حتى يتم الضبط والإتقان.
- 12- ضرورة "الرابط" (اركاب) بين الدرسين (الكتبتين) فهو في غاية الأهمية، والمراد به أن الكلمة التي توقف عندها الطالب يكررها مع الدرس التي يرددها، ويعيد كتابتها مع بداية الدرس الموالي وهكذا حتى يقع الربط المحكم بين حلقات الدروس، وإذا لم يلتزم الطالب به فسيفق حيران عند كل بداية درس من مجموع محفوظاته مستقبلا.
- 13- أن يستجمع الطالب الحواس الأربعة التي تصب في القلب مباشرة (التركيز بالفكر – النظر – اللسان – رفع الصوت به ليعلم أذنيه) لأن هذه الأربعة يبقها أثرها في القلب وقد نظمت ذلك بقولي:
- أربعة تصب في القلب الأثر الفكر واللسان والسمع النظر**
"فالقلب واحد وحيث يشغل . يعمل عن ضده ينعزل"
- هذا وقد سئل ابن عباس بم نلت هذا العلم؟ فقال: "بلسان سؤول وقلب عقول".
- 14- أن تستطعم بحفظ ما فهمت.
- 15- أن يسأل الطالب الشيخ أو أحد الزملاء عن الكلمة التي عزبت عليه.
- 16- الجد والمثابرة والدوام في القراءة بسرعة ولو كانت بسبحة لكانت أحسن. يقول الإمام السخاوي رحمه الله في كتابه "هداية المرتاب...":
- فالحافظ المتقن قد ساوى الملك واستعمل الجد فمن جد ملك**
- 17- تحري أوقات الهدوء، والنوم مباشرة عند الشعور بالتعب لقوله تعالى: (وجعلنا نومكم سباتا) أي راحة.
- 18- الاهتمام بأوجه التشابه في الألفاظ سواء كان ذلك في القرآن أو المتنون المحظورية.
- 19- أن يكون الطالب خاليا بنفسه عن الناس حتى لا يشوش عليه.
- 20- صلاة الليل معينة على حفظ القرآن لمن يصلي به بانتظام، فهي صورة من أبرز صور تعاهد القرآن الذي جاء مبينا في السنة (تعاهدوا هذا القرآن فو الذي نفس محمد بيده لهو أشد

تفلتا من الإبل في عقولها)، وقد كان شيخنا عدود رحمه اهلس يقول: "من أراد إتقان حفظ القرآن فليكثر الصلاة به، ومن أراد حفظ الفوائد العلمية فليفد بها" وقد قال أبو إسحاق الألبيري في "تائيته" المشهورة:

يزيد بكثرة الإنفاق منه وينقص به إن كفا شدتنا.

هذا ومن المعلوم أن قيام الليل دأب الصالحين وكل الخير يشتمل عليه كما قال أحد الفضلاء:

اطلب رضا الرحمن بالإطعام واطلب صفاء النفس بالصيام

والرزق بالضحى وبالصمت النجا والخير كل الخير في القيام جا

21- حلية المأكّل والمشرب لأن "التوفيق بين الماء والدقيق" كما قال العلامة محمد مولود

ولد أحمد فال صدر بآب البيع:

وهاك بابا جامعا ما لا جرا لك من ان تعرفه قبل الشرا

فمن يحط بعلمه ويعمل ترج له النجاة من حرب العلي

وبعثه في صورة الخنزير والكلب والقرد وكالمسعود

وأمل الظفر بالتوفيق إذ هو بين الماء والدقيق

22- التخفيف من ثقل المعدة لأن "البطنة تذهب الفطنة".

23- هنالك مطعومات قد تساعد على الحفظ وتنشط الذاكرة: (العسلماء زمزم- الحبة السوداء-

التمر).

25- الدعاء والرقية الشرعية بشقيها: (رقية الإنسان لنفسه وغيره له).

ثانيا: معيقات الحفظ:

- 1- المعاصي كما تقدم.
- 2- الانشغال بهموم العاجلة عكس هموم الآجلة.
- 3- ترك المراجعة الدائمة (التكرار)
- 4- كتابة الحجم الزائد على طاقة حفظ الطالب.
- 5- البطنة تذهب الفطنة.
- 6- أكل الكزبرة (نوع من مصلحات الطعام).
- 7- عدم غض البصر.
- 8- كثرة الكلام كما يقول شيخنا "عدود" رحمه الله ، وقد قال العلامة ابن متالي رحمه الله:
وليك ما تسمعه أكثر من ما أنت قائل له تكن فطن
لذلك لا ازدواج للسان وازدواج العينان والأذنان
- 9- قراءة الخط المكتوب بأحجار القبور.
- 10- نظر المصلوب.
- 11- إلقاء قملة حية بالأرض.
- 12- الحجامة بحفرة القفاء.
- 13- التداخل بين المنظومتين (المحظية والمدرسية) هذا في حالة عدم التعاون المشترك بين "وكيل" الطفل و "شيخه" على تنظيم وقته، وذلك لكثرة المقررات المختلفة الأبعاد.
- 14- عدم الراحة (النوم).
- 15- كثرة النظر في "الشاشات الإلكترونية" فإنها تضيف الذاكرة وتتعب أعصاب الدماغ وأحيانا تغسل كل ما كان به من "محفوظات" كما يقول شيخنا "عدود" رحمه الله.

ثالثا: علاج نسيان الحفظ:

يعالج الشناقطة "النسيان" بجعل وقت الحفظ بعد نوم وقبله، فهم يحفظون - عادة - في الصباح بعد الاستيقاظ من نوم الليل ويستمر التكرار من أجل ترسيخ الحفظ حتى يرتفع النهار، ثم ينامون قبل الظهر نوما خفيفا، ثم يبدؤون في التكرار من جديد وبهذا يساعدون الذاكرة على الراحة بعد الحفظ لتترسخ فيها المادة المحفوظة.

هذا وقد سئل العلامة لمرابط محمد سلوولد ألما رحمه الله عن "علاج نسيان الحفظ" فقال كلاما مضمونه أن علاج نسيان الحفظ ينحصر في ثلاث نقاط هي:

1- ديني / شكوت إلى وكيع (الإمام الشافعي).

2- طبي: التقليل من أسباب البلغم.

3- عادي: التكرار الذي لا نهاية له.

الخلاصة:

وبناء على ما سبق يمكن أن نتوصل إلى نقاط لعل من أبرزها:

1- أنه لا وجود للدين إلا بالتعلم كما قال العلامة ابن متالي رحمه الله:

الدين دون العلم ليس يوجد والعلم دون ورع لا يحمى

وورع بدون زهد عدم والزهد بالأهليلج - يعدم

إن لم تجد تقصيره فحقق أنك عبد مذنب غير تقي

2- أن وسائل الحفظ توتي أكلها أكثر في الصبيان كما بين العلامة الشيخ عبد الله بن الحاج حماه الله في نظم الرسالة:

إذ جاء تعليم الصغار لكتاب الله يطفى غضب الله العذاب

وأن تعليم العلوم في الصغر كالنقش في الحجر تعسا للكبر

فلك مثلت الذي ينتفعون بحفظه وعلمه ويشرفون

3- أن طلب العلم من "المهد إلى اللحد" كما قال العلامة محمد الحسن ولد أحمدو الخديم:

العمر كله أوان للطلب وابن زياد بعد سبعين طلب

وخلاصة القول أن العلم فازت به الحفاظ ومن يحفظ حجة على من لا يحفظ.